

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
نمن المند ١٥ مليا
الوهونات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للادب والعلم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المشؤل
أحمد حسن الزيات
الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ - مابدين - القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٥٥٣ « القاهرة في يوم الإثنين ١٢ صفر سنة ١٣٦٣ - الموافق ٧ فبراير سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

علامات الزمن

للأستاذ عباس محمود العقاد

للزمن علامات في أقوال الشعراء والأدباء
ولأقوال الشعراء والأدباء علامات في الزمن
ولكن العلامات التي تصدق في دلالتها ، ويقبل خطأها
في إشاراتها هي على الأعم الأرجح علامات الصناعة دون
علامات الطبيعة
لأن الطبيعة الإنسانية تتشابه في جميع الأزمان وتماثل
فيها الخصائص والعيوب بين جميع الأجيال ، فلا يقال إن السخف
وقب على عصر دون عصر ، ولا إن الركاكة مقصورة على جيل
دون جيل ، وإن هذا البيت لا يمكن أن يصدر عن شاعر
في الجاهلية لأنه سخيف ، أو لا يمكن أن يصدر عن شاعر
متأخر في القرن التاسع عشر لأنه متين ظاهر الفحولة ، فهذه
علامات لا تقطع بالتقول الفصل على وجه اليقين ، ولكنها تذكر
للاستئناس كما يقال في لغة الفقهاء والمحاميين ، إذ يوجد السخف
لاسماء في كلام الجاهلية كما توجد القوة والجزالة في كلام المتأخرين
إنما العلامات القاطعة في دلالتها التاريخية هي علامات
الصناعة اللفظية والمعنوية على اختلافها في جميع اللغات ؛ لأن
المحسنات والموشحات وخروب التطريز والتشطير والتوشيح

الفهرس

صفحة	الموضوع
١٢١	علامات الزمن ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ...
١٢٤	بركة خان أول مسلم من ملوك التتار ... : الدكتور عبد الوهاب عزام ...
١٢٦	طاقات ومخاض : هدية إلى شعراء في هذا الزمن ... : لأستاذ جليل ...
١٢٨	أخبار أبي تمام ... : الدكتور زكي مبارك ...
١٣٠	علي محمود طه شاعر الفن والجمال ... : الأستاذ دريني خشبة ...
١٣٢	سنتامال والحب ... : الأستاذ صلاح الدين للنجد ...
١٣٤	مصيب الوزير في مصر الفرعونية ... : الدكتور باهور لبيب ...
١٣٥	من أحلام الصحراء [قصيدة] : الأديب محمد الملاي ...
١٣٦	ليلي والمجنون ... : الدكتور محمد مصطفى ...
١٣٨	حول لفظ « النسل » ... : الأستاذ الكبير « ح » ...
١٣٩	(١) هل مرتنا المؤلف ؟ ... : « عبدان » ...
١٤٠	(٢) أول غلط ... : الدكتور زكي مبارك ...
١٤٠	أدبي أدب حق ... : الدكتور زكي مبارك ...
١٤٥	إصلاح تطبيع ... : ...

قد ظهرت عندنا في اللغة العربية على عهد معلومة تنحصر
بالسنوات فضلاً عن الحقب والفترات . فلا يعقل أن يتكرر
الجناس الكامل في الشعر الجاهلي ولا أن تصدر أفانين التوشيح
من مخضرم أو متقدم بين الأمويين . وقل مثل ذلك في كل
علامة صناعية مرجعها إلى زمن معلوم

أما الركافة أو السخف أو الإعياء أو اختلال الوزن فتشكل
أولئك قد يوجد في الجاهلية كما يوجد في عصور المايك . ورب
بيت لشاعر من شعراء العصر الأول تسلكه بين أبيات النظمين
من مداح الريف فلا نشعر بفراجه بينها . كقول حسان مثلاً :
وبحسبنا غفراً على من غيرنا حب النبي عهد إيانا
أو بيت عمر بن قيس في القدم لو ألقته على لسان خليع من خلفاء
الأزبكية لجاز أن يكون من كلامه إذا نظرنا إلى الخلعة
والجون ، كقول الأعمى :

قالت أسيمة لما جئت زائرها ربي عليك وويلي منك يا رجل
فهذا البيت هو بيته ترجمة « يا دهوني عليك يا دهوني
منك يا رجل انت » التي تقطر بخلعة المحدثين ، إذا كانت
السئلة مسألة عيب من عيوب النفس والزواج
ولن يؤخذ بعلامة التامة والجزالة ماخذ اليقين كما ليس
يؤخذ بها هذا المأخذ في باب الركافة والإسفاف
فالبارودي مثلاً يقول في إحدى مآرضاته :

ألاحي من أسماء رسم التنازل وإن هي لم ترجع بياناً لسائل
جلاء تعقها الروميس والتقت عليها أما ضيب القيوم الحوافل
فلأيا عرفت الدار بعد رسم أرايها ما كان بالأمس شاغلي
فلمين منها بعد تزيال أهلها معارف أطلال كوحى الرسائل
فأسبلت السينان منها بواكب من الدمع يجري بعد مسح بوابل
والشيخ عهد عبد المطلب يقول :

لنا بالهوى منى عهدناه آملاً سقى الله روضات به وحنانلاً
كسواء السحاب الجون من نسج نبت

عقود حجاب نظمت وغلائلاً

أو يقول :

دعته الملا أن التواء من الوهن فأسلم أرسان الركاب إلى الظنين
وأرسلها في ذمة الشوق فانبثرت سوادى تنسبها للمنى أحلب الزن

والسيد البكري يقول :

سقى دور مية بالأجرع مسف من الدجن لم يقطع
ولو ترك الشوق دعماً بجفنى سقيت النازل من آدمى
وبروى مثل هذا الشعر لفئة من المحدثين لا يمدون الفترة
العارضة بين أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين .
فإذا لو أن ناقداً من التجذلين الذين يحتفظون القول في علامات
الزمن خلف البيانات رجع إلى مقاييسه الخاطفة فأنكر نسبة
هذا الكلام إلى عصره وزعم أنه أشبه بمصور البداوة وأقرب
إلى فحوة الجاهليين أو المخضرمين ؟ بل ماذا لو أضاف إلى ذلك
أمثلة من الشعر والنثر الثابتين في هذه الفترة ، فقال جازماً
إن الأسويين لا يصدران عن عصر واحد ؟

إنه لو قال ذلك لكانت حجته أقوى وأسلم من حجة القائل
أن شاعراً في العصر الإسلامي الأول لا يتأتى أن ينظم
هذا البيت ؟

لواحي زليخا لورأين جبينه لآرن بالقطع القلوب على الأيدي
لأنه في زعمه بيت تموزه فتاة الشعر في ذلك العصر .
ولو صح أن الفتاة تموزه لما كان ذلك جازماً باستحالة نظمه
في عصر من العصور ، لأن عصرها من العصور الأولى أو الأخيرة
لن يخلو من بيت ركبيك أو سخيف

ومن المصادفات الحسنة أن كلامنا في الخلاف على صاحب

هذا البيت يظهر في الرسالة وفيها كلمة للأديب الداعستاني يذكر
فيها أن مؤلفي « قصة الأدب » نسبوا أبياتاً إلى كثير من عزة وهي
منسوبة في كتاب الأغاني إلى بشار . ومنها هذا البيت :

يزهدني في حب عزة ممشى قلوبهم فيها مخالفة قلبي
وهناك قوم ينسبون الأبيات إلى ذي الرمة ويصمون « مية »
في موضع عزة من البيت المتقدم ، وبين العصرين دولة مضت
بصدر الإسلام وأعقاب الأمويين . ومن الأبيات الثلاثة بيت
يشير إلى النظر هو أليق ببشار الضرير حيث يقول :

هقلت دعوا قلبي وما اختار وارضى

فبالقلب لا بالعين يبصر ذو اللب

وهناك أبيات ومقطوعات وموشحات ينسبها أناس إلى
شعراء من الأندلس وينسبها آخرون إلى شعراء من بغداد

والسير ، ويضاف إليهم السيوطي صاحب التفسيرات والأمالى
في الذخيرة والعربية ؛ فإن جماعتنا إذن من الكتب المحترمة
والاحترام ؟

ويذهب بنا القول في أدلة العقل والنقل حول كتابنا
« الصديقة بنت الصديق » إلى مناقشة الأستاذ الصعدي مرة
أخرى فيما اعتمده من النقل المتواتر الذي لا يناقض العقل على
ما نراه

فالعقل لا يمنع أن تراجع السيدة عائشة عمداً صلى الله عليه
وسلم في أمر من الأمور ، ولا يمنع أن تخالفه في ضرب من
الشعور ، ولا سيما شعور الغيرة التي بلغت أشدها بمد مولد إبراهيم
من مارية القبطية

ومن المحقق بالمناسبات القرآنية أن النبي عليه السلام هجر
نساءه شهراً لأنهن زاجمته وألحقن في مراجعته في شؤون
النفقة ، وفيما يبين من التناظر والتناظر الذي تعددت أسبابه
ومناسباته

ومن المتواتر في الروايات الموثوق بها أن عائشة كانت تراجع
النبي لأنه كان يكرم ذكرى خديجة وهي تقول عنها إنها يجوز
جراء الشدقين ، وكان يميل إلى صفية وعائشة تقول عنها إنها
قصيرة ، وكانت تزعم للنبي أنه أكل مغافير وهو لم يأكل المغافير
فهذه المراجعات والمناقشات لا ينفيها العقل ولا يستغربها ،
بل تقيضها هو الأخ بالنبى والاستغراب ، لأنه مناقض لطبيعة
الإنسان

ومهما يكن من قول النظام في معنى الواقع ومعنى التصديق
فالواقع أن عائشة رضي الله عنها كانت تكذب لو أنها قالت إنها
ترى شياً في إبراهيم وهي لا تراه . والواقع أن الغيرة تحجب
النظر عن الشبه الذي يمتنع فيه الخلاف ؛ فكيف بالشبه الذي
يجوز فيه الخلاف ؟ وأي شبه في طفل مولود لا يختلف فيه
نظران ؟

كذلك لا غرابة في أن يدعو النبي عائشة أو غيرها إلى
الاستغفار إن كانت ألت ببعض الذنوب ؛ فإن الاستغفار مطلوب

ولا سبيل إلى القطع بصواب النسبة إلا الرجوع إلى علامات
الصناعة وعوارض البلدان ، أو الرجوع إلى دليل قاطع من
العقل يعطل به النقل كل بطلان

وصفة القول أن علامات الزمن في الشعر إنما تؤخذ مأخذ
اليقين إذا انصلت بحدود الصناعة وأوقاتها ، ولكنها فيما عدا ذلك
لا تبلغ مبلغ اليقين إلا بدليل قاطع من العقل أو دليل قاطع من
النقل ، أو بالدليلين معاً مجتمعين . وليس من ذلك هذا الزعم
الذي أتى به المتعرضون على رواية البيت المنسوب إلى عروة
ابن الزبير في كتابنا « الصديقة بنت الصديق »

وهؤلاء المتعرضون يزعمون أنهم قد أنجبوا أنفسهم تفصيلاً
للكتب المحترمة في السير والأدب والتاريخ فلم يمتروا على
إشارة إلى القصة التي أنكروها جملة وتفصيلاً وحسبوا من
تلفيق كتب الأسماء التي لا يطلعون عليها

ومع هذا لم تقتصر الإشارة إلى تلك القصة على رواية
واحدة ولا على كتاب واحد من كتب السير والأدب والتاريخ
« المحترمة »

فأخرج أبو نعيم في الدلائل والخطيب وابن عساکر فيما
روى السيوطي في شرح شواهد معنى اللبيب ، قال رواية عن
السيدة عائشة :

« ... كنت قاعدة أغزل والنبي صلى الله عليه وسلم يخصف
نعله فجعل جبينه يبرق وجعل عرقه يتولد تورا فبهت ، فقال
مالك بهت ؟ قلت جعل جبينك يبرق ، وجعل عرقك يتولد تورا ؛
ولو رأك أبو كبير الهدلى لطم أنك أحق بشمره ، حيث يقول :
ومبرأ من كل غسبر حيضة وفساد مرضعة وداك مغفيل
وإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت بروق العارض المهلل
فهذه رواية في كتب عمرة تذكر التمثيل بالشعر في وصف
شمال النبي ، وتذكر مناسبة التمثيل ويختلف فيها ناظم البيتين ،
ولم يقل أحد أن أبا نعيم والخطيب وابن عساکر ومحمد بن قاسم
حبريين من أصحاب السمر الذين لا يذكرون مع كتب التاريخ